الجانب الروحي في السياسة الناصرية

عبد الناصر وعضوية التنظيم الخاص للإخوان المسلمين

كان عبد الناصر عضواً في التنظيم الخاص للإخوان المسلمين وأنه أقسم على المصحف والسيف على فداء الدعوة الإسلامية وعدم إفشاء أسرارها ، وأنه تعهَّد لجماعة الإخوان المسلمين قبل الثورة أنه إذا وصل إلى الحكم فإنه سيعمل بكتاب الله وسنة رسوله فعندما قال حسين حمودة (عضو جماعة الإخوان المسلمين ، وأحد الضباط الأحرار الأوائل) لجمال عبد الناصر إننا انضممنا للإخوان على أساس مبادئهم التي اقتنعنا بها وهي أن يكون الحكم بكتاب الله تعالى وسنة نبينا ﷺ فرد عليه جمال عبد الناصر : " اطمئن من هذه الناحية فما دام زمام الأمور سيكون في يدنا فسوف نحكم بالقرآن الكريم إن وفقنا الله في الاستيلاء على السلطة في مصر " [1] .

وفي ذكرى وفاة حسن البنا في فبراير عام ١٩٥٤ قال عبد الناصر " نعم أذكر في هذا الوقت، وفي مثل هذا المكان كيف كان حسن البنا يلتقي مع الجميع ليعمل الجميع في سبيل المبادئ العالية والأهداف السامية، لا في سبيل الأشخاص ولا الأفراد ولا الدنيا .. وأُشهد الله أنني أعمل –إن كنت أعمل– لتنفيذ هذه المبادئ، وأفنى فيها وأجاهد في سبيلها " [2] .

([1]) حسين حمودة " أسرار حركة الضباط الأحرار و الإخوان المسلمون " الزهراء للإعلام العربي ص ٧٤ ، ٧٥ .

([2]) كلمة عبد الناصر في ذكرى وفاة حسن البنا نقلاً عن مجلة "التحرير" الصادرة بتاريخ ١٩٥٤/٢/١٦ العدد"٤٤" وهي إحدى صحف الثورة .

هل كان عبد الناصر شيوعيًا ؟

لقد صرَّح عبد الناصر في بعض خطبه أنه ليس شيوعيّاً وأنه يصلي ويصوم.

ومع ذلك كله فقد رمى بعض الإخوان المسلمين عبد الناصر بالكفر من جراء ما رأوه من تعذيب في السجون والمعتقلات ، وسارع مرشدهم حسن الهضيبي بتأليف كتاب " دعاة لا قضاة " ليذَّكر هؤلاء الناس بأن مهمة جماعة الإخوان المسلمين هي الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وأنهم ليسوا قضاة كي يحكموا على عقائد الناس ، وتساءل بعض الناس هل كان عبد الناصر ماركسيّاً ؟ بعد أن أصدر عبد الناصر الميثاق ، وطبَّق قوانين الاشتراكية وولى الماركسيين أجهزة الدولة في الإعلام والثقافة والصحافة . وردَّ عليهم حسنين هيكل بأن عبد الناصر كان متديناً ولم يكن يوماً ماركسيّاً . [1]

وبلغ عبد الناصر أن حسن التهامي يتهمه بالشيوعية، وفي أحد لقاءاتهما نفى حسن التهامي هذا الاتهام، ودونك ما جرى بينهما من حوار يرويه حسن التهامي.

" قال عبد الناصر : أنت تقول عني أني شيوعي !!

فقلت له : وهل أنت تعرف نفسك شيوعي .. أنا في نظري جمال عبد الناصر هو جمال عبد الناصر لا شيوعي فقط ولا إخوانجي فقط ولا رأسمالي ولا غربي ولا شرقي أنت لا تعرف إلا نفسك ولا ترى في المرآة إلا جمال نفسه وأنا أسألك من الذي يقال ذلك عني كذبا ؟ " [2]

([1]) ومع ذلك ذكر محمد حسنين هيكل في كتابه " الطريق إلى رمضان " في نسخته الإنجليزية ذكر في هذه الطبعة أن عبد الناصر لا يؤمن بالآخرة .

([2]) من حوار محمد الطويل مع حسن التهامي وقد ذكر محمد الطويل في كتابه " لعبة الأمم وعبد الناصر " المكتب المصري الحديث .

والحقيقة أنه ليس في إمكان بشر التفتيش عن عقائد الناس ورميهم بالكفر أو الإيمان فهذا من الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه ، وإن من واجب الباحثين صرف همهم عن التفتيش عن عقائد الحكام إلى مناقشة سياستهم ، وهذا ما التزمنا به في هذا الكتاب .

فإذا كان عبد الناصر قد حلَّ جماعة الإخوان المسلمين وقبض على كل المنتمين إليها فلم يكن هذا محاربة للدين إنما استئثاراً بالسلطة ؛ فقد قبض قبل ذلك على من نزاعه السلطة أو عارضه في الحكم فضرب مجموعة المدفعية وشتت ضباطها وألقى بزعمائها في السجن في ١٥ يناير ١٩٥٣ كما ضرب مجموعة سلاح الفرسان في أعقاب أحداث فبراير ومارس ١٩٥٤ وانتهى الأمر بإلقاء طائفة من أبرز الضباط الأحرار بسلاح الفرسان في السجن ونقل طائفة أخرى منهم إلى وظائف مدنية وإبعاد الباقين عن سلاح الفرسان . كما أطاح بكل القوى السياسية وحل جميع الأحزاب السياسية وصادر جميع أموالها .

رسالة أحمد طعيمة لعبد الناصر بشأن الجانب الروحي

ونكتفي في بحث الجانب الروحي في السياسة الناصرية بما كتبه أحمد طعيمة في رسالته لعبد الناصر : " سيدي الرئيس : لا أستطيع أن أمس الموقف السياسي والاقتصادي أي الجانب المادي من حياة مجتمعنا دون أن أمس الجانب الروحي .

إن المتتبع لتاريخ مصر منذ عهد الفراعنة لتصيبه الدهشة فأثار مصر الفرعونية منذ آلاف السنين لا تجد بينها إلا معبداً أو مقبرة في الوقت الذي لا نعثر على قصر واحد من قصور الملوك والأمراء فهي إما معبد يعبدون فيه الله أو الآلهة أيّاً كانت ، ومقبرة ينتظرون فيها البعث ليبدءوا حياتهم الأخرى ولم يتهموا إطلاقاً بترك أثر من آثار حياتهم الدنيوية إلا ما عثر عليه في مقابرهم لاستخدامهم بعد البعث في حياتهم

الأبدية الخالدة ، فشعب مصر منذ وجد شعب فُطِر على الدين أي دين يصل إلى الله.

ثم كانت مصر أرضاً مقدسة للأديان السماوية الثلاثة فتأصلت فيها العقيدة وأصبحت تجري في دماء شعبها وتنساب في روحه جيلاً بعد جيل لا ينال منها مستعمر أو دخيل أو عدو لم تكن هزيمة التتار والصليبيين على يد المصريين إلا دفاعاً عن العقيدة والدين وانتصار كلمة الله .

وشعب مصر شعب طيب وذكي بالفطرة يعرف كيف يواجه ويقاوم وله أسلوب فريد مكنه على مر الأيام أن يهضم حضارات وأفكار فرضت عليه في بعض فترات التاريخ ولكنه كان يخرج منها دائماً كما هو مصريّاً في كل شيء وفي عقيدته .

وحينما أعلنتم في خطابكم التاريخي يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٦٧ ضرورة التمسك بأهداف الدين صفق الحاضرون والغائبون من الأعماق تصفيقاً اعتقد أنكم لمستم معناه لأنه لم يسبق له مثيل أو تعقيب على أي فقرة من خطابكم في هذا اليوم .

فقد مرت على الشعب المصري فترة من الوقت خيل إليه أن الدولة تتجه بعيداً عن الدين في طريق الشيوعية ، وكانوا لا يستطيعون مقاومة هذا الاتجاه لأنهم لا يملكون وسائل المقاومة له المباشرة .

ولقد قلت لسيادتكم في لقائي معكم يوم ٣٠ أبريل عام ١٩٦٥ أن الشعب مستعد للتضحية بدمه وحياته وماله ، مستعد للجوع والعري في سبيل دينه ووطنه ولكنه غير مستعد أن يتغاضى أو يغفر خطأً تافهاً جداً للحكومة ، أو يسكت عن نقص سلعة تموينية واحدة ولو لبعض الوقت طالما أنه يشعر أنه يجر إلى الشيوعية جرّاً.

ولقد كان هذا هو أسلوب الشعب في المقاومة الذكية دون أن يفصح عمَّا في نفسه؛ فقد أصبح وأمسى فرأى أجهزة العلام والثقافة والصحافة وقد وُضِعَت في أيدي خريجي

السجون والمعتقلات من الشيوعيين الذين كانوا يجاهرون بالإلحاد والدعوة له وسب الإسلام كمقال محمد عودة في صحيفة الجمهورية .

وقد علل الشعب نكسة ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ كما أوضحتم سيادتكم في خطاب ٢٣ يوليو سنة ١٩٦٧ بأن الله أرادها درساً لنا يعلمنا ما لم نكن قد تعلمانه، ويذكرنا ببعض ما يمكن أن نكون قد نسيناه .وبأننا نسينا الله فأنسانا أنفسنا وأمكن منا إسرائيل.

ويروي عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أوصى جيشاً بعث به إلى بلاد الروم وكان جيش الروم أضعافاً مضاعفة لجيش المسلمين في العدة والعدد فقال لهم : " احرصوا على رضاء الله وذكره والتمسك بدينه وإلا كنتم والروم أمام الله سواء وتكون الغلبة للعدد والعدة للروم . "

هذا هو رأي الإسلام وهو رد واضح على تشكيك البعض بعد النكسة .

أليس الله مع المسلمين وعلى اليهود ؟

ألسنا على الحق وهم على الباطل؟

إذاً كيف كان الله مع إسرائيل ضدنا في هذه المعركة ؟

والحقيقة الإسلامية المجردة إن الله لم يكن مع إسرائيل ، ولكنه أيضاً لم يكن معنا؛ إذ يقول الله تعالى ﴿وَلَيَنصُرَنَّ الله مَن يَنصُرُهُ إِنَّ الله لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ وعن الرسول ﷺعن بن مسعود قال : " وما نزل البلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة " .

لهذا أرجو يا سيادة الرئيس وألحُّ في الرجاء لوجه الله والوطن أن كنتم تريدون نهضة حقيقية لهذا الشعب وترجون نصراً من الله قريباً بإذن الله أن نفكر في الآتي:

١- أن يعتبر الدين الإسلامي مادة أساسية في جميع مراحل التعليم حتى التعليم الجامعي.

٢- أن تشكلوا بجانبكم لجنة للدراسات الإسلامية لتزودكم بأعظم نبع للتشريع في العالم من سير الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين أئمة الإسلام على أن يكونوا صفوة من الرجال الممتازين من رجال الدين والعلم والقانون .

٣- يجب تطهير جميع أجهزة الدولة في الإعلام والثقافة والصحافة من الشيوعيين البارزين فليس من المعقول أن يتصدر هؤلاء هذه المراكز في دولة دينها الإسلام ورئيسها جمال عبد الناصر ويتولى أمر الفكر والتوجيه لجموع الشعب المؤمن المسلم الذي يعلم أنهم ملحدون من خريجي السجون والمعتقلات .

وتنعكس هذه الصورة على الدولة بأكملها فتوصم بالشيوعية في الداخل والخارج دون مغنم إلا مغارم كثيرة تفوق الوصف والخيال في حساب الله وحساب الناس . [1]

***

(1) لمزيد من التفاصيل راجع خطاب أحمد طعيمة لعبد الناصر المكتوب في كتاب " شهادة حق " الجزء الخاص بالدين ص ٣٧ - ٤٢ .